فاروق وادي

مدخل تاريخي للرواية الفلسطينية

١

الرواية هي النتاج الإبداعي للمجتمع البورجوازي، فقد ولدت ونمت مع الثورة البورجوازية في أوروبا..

ومع أننا قد نجد أعمالاً أدبية من نتاجات العصور القديمة أو الوسطى أو من الشرق تقارب الشكل الروائي، إلا أن السُمات النموذجية للرواية، كما يعبّر لوكاش، لم تظهر إلى حيز الوجود.. «إلا بعد أن أضحت الرواية الشكل التعبيري للمجتمع البورجوازي»(١).

أما الرواية الغربية، فقد جاءت متأخرة، إذ شهدت بداياتها مع مطلع القرن العشرين، وكانت إحدى نتاجات اتصال مثقفي تلك الحقبة بالثقافة الأوروبية.

لكن هناك من يظل يجهد في محاولة ردّ الرواية العربية الحديثة إلى أصول تراثية. وربما وجد هؤلاء في محاولة محمد المويلحي الروائية «عيسى بن هشام» التي ظهرت في بدايات هذا القرن، مثالاً وسنداً. فهي تستفيد، إلى أقصى الحدود، من شكل المقامة العربية وتمثّل محاولة انتقالية من المقامة إلى الرواية، لتطرح من خلالها القضايا الأكثر إلحاحاً والأكثر التصاقاً بالواقع واللحظة التاريخية.

فالمويلحي في عمله هذا، كما يقول جورج سالم، «أعلن موت المقامة القديمة، وأرهص بولادة فن الرواية الذي يستقي أحداثه وأشخاصه من المجتمع»(٢)، وعبّر، كما يقول الدكتور محمد شكري عياد، عن موقف الرأسمالية الوطنية التي بدأت تظهر في عهد الخديوي اسماعيل وشكلت سنداً للثورة العرابية(٣).

لكن محاولة المويلحي لم تجد امتداداتها اللاحقة في الرواية العربية، وغياب تلك الامتدادات ينفي امكانية القول برد المحاولات الروائية في الأدب العربي إلى الجذور التراثية، وينزع عن هذه الرواية شرف الريادة في هذا المضمار.